

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

استقر في نفسي بعد دراستي للجانب الفقهي عند ابن رشد أن النهوض بالشرعية الإسلامية، وجعلها مواكبة لقضايا العصر لا يكون بالعكوف على الفروع الفقهية الجزئية فحسب، وإنما يكون بالتوجه إلى كليات الشريعة وأصولها، وقيمتها الإنسانية الخالدة ورأيتُ أن مقاصد الشريعة كفيلة بهذه الغاية.

ولما كنت أعلم أن أبا إسحاق الشاطبي هو الذي توجه إلى علم المقاصد، وأفنى فيه معظم حياته، فقد اخترت أن يكون موضوع هذا الكتاب «الشاطبي ومقاصد الشريعة»، وجعلته أقساماً ثلاثة اقتضتها طبيعة الموضوع، فخصصت القسم الأول لحياة الشاطبي وعصره، والقسم الثاني لما ابتكره من نظريات في علم المقاصد، والقسم الثالث لدراسة مذهبه الإصلاحية الذي يعدُّ امتداداً لنظرياته في المقاصد وتطبيقاً لها.

ثم عمدت إلى كل قسم فجعلته فصلاً مترابطة، يُفصي كل فصلٍ منها إلى الذي يليه حرصاً على أن يكون للبحث وحدة موضوعية.

أما المصادر والمراجع فقد صنفتها حسب أقسام البحث، فرجعت في القسم الأول منه إلى أصناف ثلاثة من المراجع هي: كتب في التاريخ الإسلامي العام، وكتب في التاريخ الأندلسي وتاريخ مملكة غرناطة، خاصة ما كتبه لسان الدين بن

الخطيب وزير السلطان محمد الخامس أحد ملوك بني الأحمر، والمعاصر للشاطبي، وكتب في التراجم، وهي كثيرة، أخص بالذكر منها نيل الابتهاج للتبكتي الذي كان الأصل في كل ترجمة للشاطبي ظهرت بعده. غير أن ما أفادني حقاً في هذا القسم التاريخي من البحث كتابان للشاطبي هما: كتاب الفتاوى الذي عكس الكثير من قضايا عصره، وكتاب الإفادات والإنشادات الذي كان بمثابة مذكرة شخصية كشفت منها الكثير من حياته الخاصة، وصلاته برجال عصره، وما كان في غرناطة من مناخ أدبي وفكري.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد رجعت فيه إلى مجموعة من كتب أصول الفقه والمقاصد والدراسات حولهما، ولكن كتاب الموافقات للشاطبي كان عمدة في الأساس. والشاطبي وإن كان خصص الجزء الثاني فقط للمقاصد إلا أنني تبعت الأجزاء الأربعة كلها، ووجدت فيها كثيراً من مسائل المقاصد التي لم يذكرها في الجزء الذي خصصه لها.

وفي القسم الثالث الذي جعلته لمذهبه الإصلاحية، فإنني لم أجد من كتب فيه شيئاً عدا تلك الإشارة العابرة التي جاءت على لسان الشيخ محمد رشيد رضا في مقدمته لكتاب الاعتصام، والتي ردها الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كتابه «أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي» وعبد المتعال الصعيدي في كتابه «المجددون في الإسلام» فعولت في دراسة هذا الجانب على كتاب الاعتصام بجزأيه، لا أستثني من ذلك إلا مذهبه في الإصلاح التربوي فإنني استخلصته من كتاب الموافقات. وقد سلكت في البحث منهج التحليل للنصوص، والمقارنة، وصوغ النتائج التي انتهت إليها في مبادئ عامة، مجتنباً قدر الإمكان الاعتماد على النقل، إلا ما تدعو إليه الحاجة من الاستشهاد بالنص، ويجب أن أنبه إلى أن المراجع عن الشاطبي قليلة بالرغم من شهرته الواسعة في عصره وفي العصر الحديث بداية من القرن الماضي لَمَا عرف بعض زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي شيئاً من كتبه، خاصة كتابيه في الإصلاح والتجديد، وهما كتاب الموافقات، وكتاب الاعتصام.

إن غاية هذا الكتاب، كما بينتُ في أول هذه المقدمة، الكشف عن منابع التجديد في تراثنا، وربطها بقضايانا المعاصرة لتكون لنا مُنْطَلَقاً لنهضة حقيقية قِوَامُهَا الأصالة والتجذُّر في حضارتنا العربية الإسلامية، وذلك ما يخلصنا من التبعية الفكرية، ويساهم في إعادة الريادة التي كنا طليعتها زمناً طويلاً، والله أسأل أن ينفعنا بالأعمال الصالحة، والنوايا الصادقة.